واستقلاله المذهبي في الفقه وغيره ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وتغطي معظم آيات الأحكام التي استند إليها الفقهاء ، واستدل بها العلماء ، ويمكن أن تجمع هذه الآيات مع تفسيرها ، وما أورده الطبري فيها لتكون كتاباً في تفسير آيات الأحكام ، ويؤخذ منها مذهب الإمام الطبري في الفقه ، وآراؤه في الاجتهاد ، ومنهجه في الاستنباط .

وهذه النتيجة التي وصلنا إليها تستلزم البحث عن الأصول التي اعتمد عليها الطبري وبنى عليها مذهبه ، وذكر تلاميذه وأتباعه ، ثم عرض كتبه الفقهية ، وقد خصصنا الفصل التالي للكتب ، ونعرض هنا بإيجاز الأمرين الأول والثاني .

أصول المذهب الجريري :

عرَّف القاضي البيضاوي علم الأصول بأنه : «معرفة دلائل الفقه إجمالاً ، وكيفية الاستفادة منها ، وحال المستفيد»[1] ، أي : هو العلم الذي يكسب صاحبه معرفة بمصادر التشريع الإسلامي ، وكيفية الاستفادة منها في استخراج الأحكام الشرعية ، وقواعد الاستنباط ، وبيان الدليل الصحيح الراجح عند التعارض الظاهري ، ويرشد هذا العلم إلى شرائط الاجتهاد ، ليسعى الإنسان إلى تحصيلها ، وتمييز المجتهد من المقلد ، مع الاستعانة بطرق الاستدلال والاستنارة بها من القرآن الكريم والسنة الشريفة ومبادىء اللغة العربية .

ويشكل هذا العلم المنارة الوضاءة بين العلوم الشرعية ، ويعتبر مفخرة الأمة الإسلامية في حضارتها ، وهو مما انفردت به عن بقية الأمم والشرائع ، لأنه يرسم الطريق القويم ، ويحدد القواعد والمبادىء التي

---

(١) منهاج الوصول إلى معرفة علم الأصول ص ٣ ، وانظر : أصول الفقه الإسلامي ، ص ١٢ .

يسير عليها المجتهد في استنباط الأحكام وبيانها للناس.

وإن المجتهد المطلق الذي يؤسس مذهباً، وينفرد بالآراء، لابدَّ أن يعتمد على قواعد محددة للاستنباط، ومنهج معين للاستدلال، وهو ما يعرف بعلم أصول الفقه.

وقد ذكر كثير من علماء التراجم والتاريخ أن الإمام الطبري له كتاب «الموجز في الأصول»، وقال الذهبي: «وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه»[1].

ولكن كتاب الطبري في أصول الفقه لم يصل إلينا، ولم نضع أيدينا على أصول مذهبه، ومنهجه في الاستنباط، وقواعده في البيان والاستدلال.

ومن المستحيل أن يصل هذا الإمام الفقيه إلى درجة الاجتهاد، وأن يؤسس مذهباً مستقلاً دون أن يكون له قواعد أصولية، ومناهج اجتهادية، وخاصة بعد ظهور هذا العلم وتدوينه وانتشاره على يد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ٢٠٤هـ، وقام أتباع كل مذهب بتحديد الأصول والقواعد والمنهج الذي التزموه في مذهبهم.

ونحن على أمل أن نعثر على كتاب «الموجز في الأصول» للطبري لمعرفة أصوله ومنهجه الاجتهادي، وإن فقد الأمل في وجود هذا الكتاب فيمكن معرفة هذه الأصول والقواعد والمنهج من خلال آرائه وفقهه وكتبه، وتعليله للأحكام، ومناقشاته لآراء غيره في كتابيه التفسير واختلاف الفقهاء وغيرهما، وهو ما فعله علماء المذهب الحنفي باستقاء القواعد الأصولية والمناهج الاجتهادية للمذهب الحنفي من خلال أقوال

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٠، وانظر: البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، إنباه الرواة ٣/ ٩٠.

الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، واحتجاجاته ، ومنشور كلامه .

تلاميذ الطبري وأتباعُ مذهبه :

ذكرت لنا بعض كتب التراجم والتاريخ أسماء قلة من التلاميذ والأتباع الذين كانوا على مذهب ابن جرير الطبري ، منهم :

١ ـ القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، ويعرف بابن الطرار ٣٩٠ هـ كان على مذهب ابن جرير الطبري ، وكان أبو الفرج المعافى معاصراً لابن النديم ، وقد ذكره وذكر مصنفاته .

وكان أبو الفرج فقيهاً أديباً شاعراً جامعاً بين العلوم ، عالماً بكل فن ، وله شعر حسن ، ولي القضاء ، وروى عن الأئمة ، وروى عنه الأئمة وكان أبو محمد البافيّ يقول : إذا حضر المعافى أبو الفرج فقد حضرت العلومُ كلها ، ووصفه ابن النديم ، فقال : في نهاية الذكاء وحسن الحفظ وسرعة الخاطر في الجوابات .

وقال ابن خلكان : وكان ينسب بالجريري نسبة إلى الإمام محمد بن جرير الطبري ، لأنه كان على مذهبه ، مقلداً له ، لأنه كان مجتهداً ، صاحب مذهب مستقل ، وكان له أتباع ، وأخذ بمذهبه جماعة ، منهم أبو الفرج المذكور[١] .

ثم قال ابن النديم في «الفهرست» عن الطبري : «ومن أصحابه المتفقهين على مذهبه[٢] .

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢ ، ٣/ ٣٣٢ ، إنباه الرواة ٣/ ٢٩٦ والمراجع في الهامش ، الفهرست ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، طبقات الفقهاء ص ٩٣ ، تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٣/ ٣١٨ ، مفتاح السعادة ١/ ٢٥٣ .

(٢) الفهرست ص ٣٢٧ ، وانظر ص ٤٨ .